﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

طَلَبُ الشَّفاعَةِ مع تأويل رؤيا الفتيَيْن؛ لِرَفْعِ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ

لَمَّا ذكرت الآية السّابقة تأويلَ يوسفَ ﷺ الرّؤيا للفتيَيْن؛ اتَّجه لمَن ظنَّ أنَّه ناجٍ منهما، وهو السّاقي دون علم الآخر، وأوصاه أن يذْكُرَهُ عِنْدَ المَلِكِ بما رآهُ منهُ من مكارمِ الأخلاقِ ومَعالي الشِّيَمِ المُنْبِئَةِ عَنْ نَزاهَتِهِ وبُعْدِهِ مِمَّا رُمِيَ بِهِ، فقال: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ظَنَّ﴾: الظَّنُّ: اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويتْ أدّت إلى العلم، ومتى ضعُفت لم تتجاوز حدَّ التّوهُّم، ومادّة (ظنَّ) الظّاءُ والنّون تدلُّ تَصْريفاتُها على توقُّع وجودِ شَيْءٍ مُهِمٍّ؛ لِأمارَةٍ أَوْ دليلٍ قويٍّ[2]، فيكون ذَلِكَ شكًّا أَوْ يقينًا[3]. فمِنَ الأوَّلِ قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية: 32]، ومِنَ الثَّاني قولُه تعالى: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾[4] [الحاقّة: 20]، وقولُ اللّه ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: 46]؛ فإنَّ معناها: يتيقَّنونَ ذلك[5]. وفي الظَّنِّ الوارِدِ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ قولانِ؛ أحدُهما: أنَّهُ بِمَعْنى العِلْمِ، والآخَرُ: أنَّهُ الظَّنُّ الّذي يقابِلُ اليَقينَ[6].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/93.
(2) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ظنن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ظن).
(4) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 425.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 2/17 - 20.
(6) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/441.

2) ﴿نَاجٍ﴾: أصل النَّجاء: الانفصال من الشّيء، ومنه نجا فلانٌ من فلان، أنجيتُه ونجَّيتُه، والنَّجْوة والنَّجاة: المكان المرتفع المُنفصل بارتفاعه عمّا حوله، وقيل: سُمّي لكونه ناجيًا من السَّيل[1]. ومعنى قوله تعالى: ﴿نَاجٍ﴾؛ أيْ: محكومٌ ببراءته.

3) ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾: النِّسيان: تركُ الإنسان ضبط ما استودع؛ إمّا لضعف قلبه، وإمّا عن غفلة، وإمّا عن قصد حتّى ينحذف عن القلب ذِكْره، يُقال: نسيتُه نِسيانًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: 115]، وكلُّ نسيانٍ من الإنسان ذمَّه الله تعالى به هو ما كان أصله عن تعمُّد، وأمّا ما عُذر فيه، نحو ما رُوِيَ عن النَّبي ﷺ: «رُفع عن أمّتي الخطأ والنّسيان..»[2]، فهو ما لم يكن سببُه منه[3].

4) ﴿فَلَبِثَ﴾: اللّامُ والباءُ والثّاءُ تدورُ اشْتِقاقاتُها على مُلازَمَةٍ مُمْتَدَّةٍ لِلمكانِ[4]، ومنهُ قولُهُم: لَبِثَ بِالمَكانِ؛ إذا أقامَ بهِ[5]، وقيَّدَهُ الرَّاغِبُ بكونِهِ إقامةً بالمكانِ على وَجْهِ المُلازَمَةِ لَهُ[6]، وهذا هوَ المَعْنى المُرادُ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

5) ﴿بِضْعَ﴾: الأصل في هذه الكلمة من (البَضْعُ): وهو جملةٌ من اللّحم تُبْضَع؛ أيْ: تُقطّع، والبَضْع: قطعةٌ وافرة من المال تُقتنى للتّجارة، قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: 65]، والبِضْعُ بالكسر: المُقتطع من العَشَرة، ويُقال ذلك لما بين الثّلاث إلى العشرة، وقيل: بل هو فوق الخمس ودون العشرة، قال تعالى: ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيَّنَتْ هذه الآيةُ أنَّ يوسفَ عليه السلام قَالَ لِلّذي عَلِمَ أنَّهُ ناجٍ مِن صاحِبَيْهِ اللَّذَيْنِ اسْتَعْبَراهُ الرُّؤْيا (وهو ساقي الملك): اذْكُرْني عِنْدَ سَيِّدِكَ المَلِكِ، وأَخْبِرْهُ بِمَظْلَمَتي، وأَنّي مَسجونٌ بِغَيْرِ جُرْم

(1) الرّاغب، المفردات: (نجو).
(2) أخرجه ابن ماجه، السُّنن، الحديث رقم: (2045)، والطّبرانيّ، المعجم الأوسط، الحديث رقم: (8273)، والبيهقيّ، السُّنن الكبرى، الحديث رقم: (11787).
(3) الرّاغب، المفردات: (نسي).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (لبث).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لبث).
(6) الرّاغب، المفردات: (لبث).
(7) الرّاغب، المفردات: (بضع).

ولا ذَنْبٍ، فَأَنْسى الشَّيْطانُ ذَلِكَ الرَّجُلَ أَن يَذْكُرَ لِلمَلِك حالَ يوسُفَ عليه السلام، فَمَكَثَ يوسُفُ عليه السلام بَعْدَ ذَلِكَ في السِّجْنِ عِدَّةَ سَنواتٍ[1].

الأخذُ بالأسبابِ لا يُنافي التَّوكُّلَ على ربِّ الأرباب

وتُرشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ مَن وقَع في مكروهٍ وشدَّةٍ؛ لا بأس أن يستعينَ بمَن له قُدرةٌ على تخليصه، أو بالإخبارِ بحاله، وأنَّ هذا لا يكون شَكْوى للمخلوق، فإنَّ هذا من الأمور العادّيّة الّتي جَرى العُرف باستعانةِ النّاسِ بعضِهم ببعض، ولهذا قال يوسفُ للّذي ظنَّ أنه ناجٍ من الفَتَيَيْن: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾[2]، وإلى الاستعاذةِ باللّه من كيدِ الشّيطانِ ومكْرِه؛ فهو حريصٌ على أن يُنسيكَ حاجاتِك الدّينيَّةَ والدّنيويّة.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ الوَصْلِ:

تـوالي المَشاهد يقتضي الوَصْلَ بَيْنَها

وُصِلَ قولُ اللّه ﷻ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ بما قَبْلَهُ ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾؛ لما بينَهُما مِنَ التَّوسُّطِ بين الكمالَيْن، إذْ كِلتا الجُملتيْن خبريَّةٌ، وبينَهُما تناسُبٌ في المَعْنى؛ لكونِ الثّانيَةِ واردةً في استكمال بعض المشاهد، وحسَّنَ الوصلَ اتِّفاقُ الجملتيْن في الفِعْليَّة، فكلتاهما جملةٌ فعليَّةٌ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالاسْمِ المَوْصولِ وَصِلَتِهِ:

التَّنْصيص عَلى وَصْفِ النَّجاةِ، تَمْهيدٌ لِمَناطِ التَّوْصِيَةِ

عُبِّر بالموصولِ وصِلَتِه في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾؛ لما تَتَضمَّنُهُ الصِّلَةُ مِنَ التَّنصيصِ على وصفِ النَّجاةِ، فيكون تمهيدًا لِمَناطِ التَّوصيةِ بذِكْرِه عِنْدَ المَلِك، وذلك أَدْعى إلى تحقيقِ ما وصّاهُ به، بخلاف ما لَوْ وردَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وقال للسّاقي)، فإنَّ وصْفَهُ بهذا الوَصْفِ ليسَ بوصْفٍ متميِّزٍ عَنْ وصفِ صاحبِهِ الآخَرِ بـ (الخبّاز)، وليسَ فيهِ ما يُشْعِرُ بموجبِ الوصيَّة[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/110 - 111، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير المُيسّر، ص: 240.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 410.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/280.

سرُّ التَّعبير بالظَّنِّ في السّياق:

تـعـدُّد المُـراد باللَّفظ يُفضي إلى سَعةٍ وتنوُّع

الظَّنُّ الواردُ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ بمعْنى اليَقين؛ لأنَّه تقدَّم القَطْعُ بمضمونِ ما أخبرهما بِهِ، فقال: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، فالظَّنُّ في الآيَةِ كالظَّنِّ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: 46].

ويَحْتَمِلُ أن يكونَ الظَّنُّ على بابِه؛ لأنَّ التَّعبير للرُّؤيا من باب الاجتهاد، فهو ظنّيٌّ لا قطعيٌّ، وهوَ ما يُقابِلُ اليَقينَ؛ لكونِ تعبيرِ الرُّؤى - من حيثُ الجُملَةُ - من بابِ الظُّنونِ[1].

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ عَنِ القَطْعِ بِالظَّنِّ:

مُراعاةُ الأَدَبِ مَعَ اللهِ سُبْحانَهُ في الأَلْفاظِ من أرقى الأدب

في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ عُبِّرَ بالظَّنِّ دونَ العِلْمِ، مَعَ أنَّ يوسُفَ عليه السلام قَطَعَ بمضمونِ تعبيرِهِ في قولِهِ: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، من بابِ التَّأدُّبِ مَعَ اللّه ﷻ في العِلْمِ بالغَيْبِ، أو لأنَّ الأمرَ وإن كان يقينًا عِنْدَ يوسُفَ عليه السلام، إلّا أنَّ طريقَ ذلكَ لا يُنْتِجُ إلّا ظنًّا في الأَصْلِ[2].

دلالةُ التَّعبير عن (العلم)، بلفظ (الظَّنِّ):

علمُ اللهِ مبنيٌّ على اليقينيَّات، وعلمُ البشر قائم على الظُّنون والافتراضات

عبَّر القرآن الكريم على لسان يوسف عليه السلام، بالظَّن عن العلم؛ لأنَّ كلَّ علمٍ بالنِّسبة إلى علم اللّه تعالى هو عدم.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ الماضي ﴿ظَنَّ﴾:

عُبِّرَ بالفعْلِ الماضي ﴿ظَنَّ﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ دونَ المُضارِعِ، فلَمْ يَرِدِ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وقال للّذي يَظُنُّ أنَّه ناجٍ)؛ مبالغةً في الدَّلالَةِ على تحقُّقِ النَّجاةِ، كما أفادَهُ قَبْلُ قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ

(1) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/246.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3826.

تَحـقُّـقُ نَـجـاةِ السّاقي، مسألة أكّـدهـا واقـع القصّة وصِدق النُّبوّة

تَسْتَفْتِيَانِ﴾[1]، وهو السِّرُّ في إيثار ما عليه النَّظم الكريم، على أن يُقال للَّذي ظنَّه ناجيًا[2].

تَعْيينُ مَرْجِعِ الضَّميرِ في الفِعْلِ ﴿ظَنَّ﴾:

إفـادَةُ مَعْنى النَّجاةِ في ظَنِّ يـوسُـفَ عليه السلام وَالسّاقي مَعًا

فاعِلُ الفِعْلِ ﴿ظَنَّ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، ضَميرٌ مُستَتِرٌ، يرجِعُ إلى الموصولِ ﴿لِلَّذِى﴾، والمُرادُ بِهِ: ساقي المَلِكِ؛ وذلك لأنَّه اعْتَرَتْهُ أُبَّهَةُ السُّرورِ بسَبَبِ ما بُشِّرَ به، وصار في منزلَةِ مَنْ يُؤمِّلُ أنَّهُ ناجٍ[3]. ويَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ الضَّميرُ راجِعًا إلى يوسُفَ عليه السلام، وأنَّ المعنى: قال يوسُفُ للفَتى الَّذي ظنَّ أنَّه ناجٍ؛ وهوَ السّاقي، ولا تعارُضَ بينَ المَعْنيَيْنِ. ويصحُّ حَمْلُ اللَّفْظِ عليهما مَعًا، فيكونُ المَعْنى: قالَ يوسُفُ عليه السلام للفتى الَّذي ظَنَّ يوسُفُ أنَّه ناجٍ، وظنَّ الفَتى أيضًا أنَّه ناجٍ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالاسميَّة في سياق النّجاة:

المُبالَغَةُ في إفادَةِ تَـحَـقُّـقِ نَـجـاةِ السّاقي، مُفصحٌ عن بيان التَّركيب

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالاسميَّة، في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ﴾، من قولِ اللّه عز وجل: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، دونَ أن يُقال: (للَّذي ظَنَّهُ نجا)؛ للدَّلالة على ثبوت نجاته واستمرارها؛ مبالغَةً في إفادَةِ تحقُّقِ النَّجاةِ، وفي هذا تأكيدٌ للمَعْنى المذكورِ قَبْلُ، في قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[4].

دلالةُ الإبهام في: ﴿مِّنْهُمَا﴾:

جبر الخواطر، والمحافظة على المشاعر، مقصدٌ نبيل في كلّ الشّرائع

أبهم يوسف عليه السلام في قوله مع علمه بالنّاجي منهما، وهو السّاقي، ومع ذلك لم يصرِّح به، مراعاةً لحقِّ الصُّحبة في عدم إيذاء مشاعره.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/280.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/247.
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/247.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/280.

معنى الأَمْرِ في الفعل ﴿ٱذْكُرْنِى﴾:

خُروجُ الأَمْرِ مَخْرَجَ الالْتِماسِ، ينسجم مع السّياق ويُواتيه

الأمْرُ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ خرَجَ عَنْ أَصْلِهِ من إرادَةِ الإلزام، وإنَّما المُرادُ به الالْتِماسُ؛ وهو الطَّلَبُ الصَّادِرُ مِن مُساوٍ لمُساويه، ولا رَيْبَ أنَّ يوسُفَ عليه السلام أعْلى قدْرًا مِنَ المأمورِ منهُ؛ ولكنَّ أَمْرَهُ - ﴿ٱذْكُرْنِى﴾ - صادِرٌ منهُ باعتبارِ الصُّحْبَةِ في السِّجْنِ، فكانَ التَّساوي بِهذا الاعتبارِ.

سرُّ اختيار لفظ ﴿ٱذْكُرْنِى﴾:

الإشارة إلى طبيعة النِّسيان في الإنسان ممّا يلمح إليه بالتَّذكُّر

آثر السِّياق الكريمُ التَّعبيرَ بالتَّذكير دون غيره؛ لأنَّه يُقال اعتبارًا باستحضاره، وتارةً يُقال لحضور الشَّيء بالقلب أو القول، ولذلك قيل: الذِّكر ذِكْران: ذِكرٌ بالقلب، وذِكرٌ باللِّسان، وكلُّ واحدٍ منهما ضربان: ذِكرٌ عن نسيان، وذكرٌ لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ، وعلى هذا لمَّا كان من أحوال الذِّكر ما كان، عن نسيان بسبب طبيعة الإنسان البشريَّة، أو لكثرة مشاغله، فكأنَّ التَّعبير بهذا اللَّفظ يُشير إلى أنَّ السّاقي سينسى بحكم الطَّبيعة أو بكثرة المشاغل[1].

دلالَةُ إيجازِ الحَذْفِ في سياق ﴿ٱذْكُرْنِى﴾:

الاقْتِصادُ في اللَّفْظِ وَطَيُّهُ، ثِقَةً بِعِلْمِ المُخاطَبِ بِهِ، مسلكٌ في البيان جميل

في ﴿ٱذْكُرْنِى﴾ من قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ إيجازٌ بالحذْفِ، والمُرادُ: اذكُرْ قضيَّتي ومَظْلَمتي لسَيِّدِكَ[2]، وإنَّما حذفَ ذلكَ لظهورِ أَنْ ليس المَعْنى ذِكْرَ شَخْصِهِ، فطَوى الكلامَ ثِقَةً بِعِلْمِ المخاطَبِ بِهِ.

غرضُ التَّعبير بـ: ﴿عِندَ﴾:

ما يقدِّره الرَّحمن أصلح وأحسن ممّا يرتجيه الإنسان

آثر التَّعبيرُ القرآنيُّ لفظ ﴿عِندَ﴾، في قوله: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، دون أن يقول: (اذكرني لربِّك)؛ لأنَّ يوسف عليه السلام، لم يطلب إلى السّاقي أن يَذكره للملك إلّا عندما يجد فرصة لذلك، في مجلس

(1) الرّاغب، المفردات: (ذكر).

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/278.

الملك، فيخبر بما حدث، ورأى من يوسف ﷺ، ويكون في هذا آية له على نبوَّته، وإعادة للتَّحقيق في قضيَّته؛ لتظهر براءته على الملأ.

معنى الفاءِ في ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾:

الاستِعانَةُ بِغَيْرِ اللهِ سُبْحانَهُ، تورِثُ نِسْيانَ ذِكْرِ اللهِ تَعالى

الفاءُ في ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ يُرادُ بها السَّبَبِيَّةُ، وذلك أنَّ تَوصِيَةَ يوسُفَ ﷺ المُتضَمِّنَةَ استِعانتَهُ بغيرِ الله سُبحانَهُ؛ كانَت باعثًا وسببًا لما نُصَّ عليهِ مِنَ الإنساءِ[1].

وجهُ تَعَدُّدِ مَرْجِعِ الضَّميرِ في: ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾:

مِن بَديعِ الإيجازِ، نَظْمُ الكَلامِ عَلى أَوْجُهٍ مُحْتَمِلةٍ صَحيحَةٍ

في مَرْجِعِ الضَّمير (الهاءُ) في (أَنْسَاهُ) من قولِ الله تَعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ قولانِ لأهْلِ العِلْمِ[2]:

الأوّل: أنَّه راجِعٌ إلى يوسُفَ ﷺ، والمَعْنى: فأنْسى الشَّيطانُ يوسُفَ ﷺ إنزالَ حاجتِهِ بربِّهِ.

الثّاني: أنَّ الضَّميرَ يعودُ على الفَتى النّاجي، والمقصود: أنَّ الشَّيطانَ أَنْسى ساقِيَ الملِكِ أَنْ يَذْكُرَ يوسُفَ ﷺ لسيِّدِه، ففي ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ حذْفٌ، والتَّقدير: أنساهُ الشَّيطانُ ذِكْرَهُ لربِّهِ. وهذا القولُ أَظْهَرُ، ويدلُّ على ذلكَ قولُ الله سُبحانَهُ بَعْد ذلك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف: 45]، فأضافَ التَّذكُّرَ إلى السّاقي، فدلَّ على أنَّ النِّسيانَ كان واقعًا منهُ، ولا مانِعَ من الجَمْعِ بينَ القولَيْنِ، فيكونُ المَعْنى: أَنْسى الشَّيطانُ الفَتى الّذي نجا أَنْ يَذْكُرَ يوسُفَ ﷺ لربِّهِ، وَأَنْسى الشَّيطانُ يوسُفَ ﷺ ذِكْرَ الله تَعالى، ويكونُ هذا من بديعِ الإيجازِ[3].

بَلاغَةُ المَجازِ في ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾:

لا سَبيلَ لِتَسَلُّطِ الشَّيْطانِ عَلى الأَنْبِياءِ ﷺ

عَلى وَجْهِ إرجاعِ الضَّميرِ في ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ من قولِ الله تَعالى:

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/280.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/195 - 196.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/278 - 279.

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ إلى يوسُفَ عليه السلام، فإنَّ المَعْنى يكون: أنْسى الشَّيطانُ يوسُفَ ذِكْرَ الله سُبحانَهُ، وإسنادُ الإنساءِ إلى الشَّيطانِ هوَ من قبيلِ المجازِ العَقْلِيِّ؛ إذِ النِّسْيانُ واقِعٌ من يوسُفَ عليه السلام، لكونِ الشَّيطانِ لا سبيلَ لهُ على الأنبياءِ[1].

دلالَةُ إيجازِ الحَذْفِ في: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾:

ملمحُ الإضافَةِ بِأَدْنى مُلابَسَةٍ بَيْنَ المُضافِ والمُضافِ إلَيْهِ

عَلى وَجْهِ عَوْدِ الضَّميرِ في ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ من قولِ اللهِ عز وجل: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ إلى ساقي المَلِكِ: إيجازٌ بالحذْفِ، فإنَّ التَّقدير: فأَنْسى الشَّيطانُ السّاقِيَ ذِكْرَ يوسُفَ عليه السلام عِنْدَ ربِّهِ، وذلك بإلقائه في القلب أشغالًا حتّى يذهل عن ذكر يوسف عند المَلِكِ، والإضافَةُ يُكْتَفى فيها بأَدْنى مُلابَسَةٍ[2].

وَيَجوزُ أَنْ تكونَ الإضافَةُ مِن إضافَةِ المَصْدَرِ إلى مَفْعولِهِ بتقديرِ مُضافٍ، والتَّقديرُ: فأَنْسى الشَّيطانُ السّاقِيَ ذِكْرَ إخبارِ رَبِّهِ[3].

معنى الفاءِ في ﴿فَلَبِثَ﴾:

أَثَرُ مَعاني الحُروفِ في فَهْمِ الدَّلالاتِ القُرْآنِيَّةِ

الفاءُ في ﴿فَلَبِثَ﴾ من قول اللهِ عز وجل: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ سببيَّة؛ أيْ: فمكث يوسفُ عليه السلام بسبب ذلك القول، أو الإنساء في السِّجن بضع سنين[4].

سرُّ التَّعبير باللُّبْث دون غيره:

تعدُّد معاني اللَّفظ الواحد، يُعطي فرصًا عدَّة لفهم السّياق

آثرت الآيةُ الكريمةُ التَّعبيرَ باللُّبْثِ دون غيره من ألفاظ الإقامة؛ لأنَّه لا يدلُّ على الاستقرار في المكان دائمًا، بل يدلُّ على الإبطاء والتَّأخُّر، ومنه قوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾ [هود: 69]، ولمَّا كان مقام يوسف عليه السلام في السِّجن بضع سنين، وهي سنواتٌ معدودة،

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/35.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/280، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 10/93.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/437.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/247.

عبَّر باللُّبْث للإشارة إلى أنَّ إقامته في السِّجن قصيرة، وقد يُعبَّر باللُّبْث عن طول المدَّة، كما في قوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: 14]، ويكون المُراد على هذا أنَّ سجن الأنبياء، ولو كان قليلًا، فهو في حُكْم الزَّمَن الطويل؛ لعلوِّ مقامهم، وحاجة الناس إلى هدايتهم وإرشادهم، كما في حقِّ يوسف عليه السلام[1].

معنى (أل) في: ﴿ٱلسِّجْنِ﴾:

بيان أنَّ يوسُفَ عليه السلام، مكث في السِّجْنِ الَّذي دَخَلَهُ أَوَّلًا

اللَّامُ في ﴿ٱلسِّجْنِ﴾ من قَوْلِ الله ﷻ: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، للعَهْدِ الذِّكْرِيِّ الصَّريحِيِّ؛ لتقدُّم ذِكْره في قولِ الله سُبحانَهُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: 33]، وفي قولِه: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: 36]، والمُرادُ: فَلَبِثَ في السِّجْنِ الَّذي دخلَهُ أوَّلًا؛ بأَنِ استمرَّ مُكْثُهُ فيه بِضْعَ سنينَ.

سرُّ التَّعبير بلفظ (السِّنين):

تَرِدُ السِّنين مع الجَدْب والقَحْط والشِّدَّة والضِّيق

آثرت الآيةُ الكريمةُ التَّعبيرَ بالسِّنين دون الأعوام، في قوله: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾؛ لأنَّ السِّنين تكون مع الجدب والقحط والشِّدة، بخلاف الأعوام فهي في الخير والرَّخاء، يؤكِّد ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: 47]، فوصف السِّنين بالدَّأب وهو التتابعُ والجِدُّ والاجتهادُ على التّوالي بلا انقطاعٍ؛ ليَكْثُر العطاء، وما جاء في عقوبة آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف: 130]، بابتلاء الله لهم بالقحط والجدب، ونَقْص ثمارهم وغَلّاتهم، ويؤيِّد هذا المعنى دعاءُ النَّبيِّ ﷺ على مشركي مكَّةَ حين حبَسوا جماعةً من الصَّحابة رضي الله عنهم في مكَّة لمَّا أسلموا، ومنعوهم من الهجرة إلى المدينة، فقال ﷺ: «اللهمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، اللهمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ

(1) الرّاغب، المفردات: (لبث).

علَى مُضَرَ، اللهمَّ اجْعَلْهَا عليهم سِنِينَ كَسِنِي يوسُفَ»[1]، وهو دعاء عليهم بالقَحط والجدب وشدَّة الجوع، أمَّا في حقِّ الأعوام؛ فقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: 49]، فيشير إلى الفَرَج بعد الضِّيق، والرَّخاء بعد الشِّدَّة، وعلى هذا كان التّعبير بالسّنين مناسبًا للسّياق؛ لأنَّ السِّجن من باب الشّدَّة والغلظة.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

اللُّبْثُ والإقامَةُ والثّواءُ والمُكْثُ:

تَبايُنُ الأَلْفاظِ المُتقارِبَةِ الدّلالة بِأَوْجُهٍ يَخْتَصُّ بِها كُلُّ لَفْظٍ، من بلاغة اللّفظ وثراء اللُّغة

تَرِدُ الإقامَةُ مُرادًا بِها الدَّوامُ، كما في قولِ الله تَعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: 37]، ولَفْظُ (مقيم) اسمُ فاعِلٍ مِن (أقامَ)، وإفادَتُهُ الدَّوامَ مستفادةٌ مِنَ الصِّيغةِ لا من ذاتِ المادَّة، ويَرِد لفظُ الإقامَةِ بِمَعْنى الاستقرارِ في الحضَرِ، بعْدَ طولِ سَفَرٍ، كما قالَ الله سُبحانَهُ: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النّحل: 80].

أمَّا الثَّواءُ؛ فهو الإقامَةُ مَعَ استقرارٍ، ولذا يُعبَّر عنِ الثَّواءِ بمسْكَنِ الرَّجُلِ، ومَثْوى الغَنَمِ، ومَثْوى أصحابِ النّارِ؛ وهوَ المكانُ الّذي يَنْتَهون إليه، وفيه يستقرّون، وهوَ جَهَنَّمُ، فالإقامَةُ تُشْعِرُ بطولِ اللُّبْث، بخلاف الثَّواءِ، فيُرادُ به دوامُ اللَّبث، ولذا يُقال للرَّجُلِ الغريبِ الَّذي يطولُ بقاؤُهُ في غير بلَدِهِ: مقيمٌ، ولا يُقال ذلك لِمَنْ كان من أهلِ ذلك البلَدِ.

وَأمّا اللُّبثُ؛ فلا يدلُّ على الاستقرارِ في المكانِ، وإنَّما يدلُّ على التَّوقُّفِ والإبْطاءِ والتَّأَخُّرِ، وَمنهُ قولُ الله سُبحانَهُ: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود: 69]؛ أيْ: لم يتأخَّرْ، وإنَّما عَجِلَ بالقِرَى، وقد يطولُ هذا الاستقرارُ في المكانِ، كَما في قولِ الله ﷻ: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

(1) البخاريّ، صحيح البخاريّ، الحديث رقم: (3386)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (675) باختلاف يسير.

وأمّا المُكْثُ؛ فهو الإقامَةُ معَ الانْتِظارِ، وهذا الانتظارُ قَدْ يقصُرُ، كما في قولِ اللّه ﷻ: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النّمل: 22]، وقَدْ يطولُ، بَلْ قد يكون الانتظارُ أبديًّا لا يَنْقَضي، كما في قول اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧﴾[1] [الزّخرف: 77].

(1) زيدان، الفروق اللّغويّة في القرآن الكريم، ص: 165 - 170.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»